

نحن نتعلم.. نحن نقرر

الأطفال يتسلمون السلطة

معصم الأطرش



تجربتي هذه جاءت ضمن سلسلة من التجارب التي نفذتها بمشاركة طلابي بعد التحاقني بـ «مدرسة القطان الصيفية: توظيف الدراما في سياق تعليمي»، والتي أحببت أن أشارك بها في المؤتمر، لأنها تحمل فكرة أرى أنها مهمة في التعليم، لأن التعليم مرتبط بالحياة، أو يجب أن يكون كذلك، ولأن لها علاقة بمستقبل أطفالنا، أود من خلالها أن أشارك الجميع تساؤلات طرحتها على نفسي وما زلت في رحلة البحث المستمر عن الحقيقة، وعن الأسلوب الأجدى في التعليم خلال السنوات العشر التي مضت من عمري كمعلم.

مسؤولية عن تعلمهم، فنحن على الأغلب لا نحقق أهدافاً، ولا نرسخ قيماً، والتزام طلابنا الظاهر يكون خوفاً من العقاب، أو حرصاً على النجاح والثواب إلا ما ندر.

لا بد أن أغير شيئاً ما . . . فلن أهرب بالعقاب، ولن أرغب في العلامة والثواب، سأجعل طلابي يحبون ما يصنعون. نجحت وغيرت ونوعت من أساليبي فأحبني طلابي وأحبوا حصتي، ورأيت أنني أغرس فيهم القيم بالعمل معهم عليها . . . ثم لاكتشف لاحقاً وقد تتفاجأون أنني ما زلت في الدائرة نفسها ولم أغير شيئاً.

أطرح تساؤلاتي واستنتاجاتي لنفكر معاً، فلست أزعم أنها تقدم الحل الأمثل، ولا أدعي مثاليتها، ولكنني متأكد من أنها قدمت لي رؤية رائعة وتجربة فريدة وأفكاراً جديدة كما قدمت لطلابي تعلماً مختلفاً، وكانت محاولة لنبحث من خلالها ومن خلال ما قدمت لي من فكرة عن أجوبة ربما ستغير واقعاً ما في مكان ما.

نحن نرى طلابنا يخضعون لنظام متقن ووقت منظم وصفوف وطابور ومنهاج وغرس للقيم، معلمون مجدود وطلاب مصغون، ثم بعد ذلك كله لا نرى التزاماً جدياً وحقيقياً من طلابنا تجاه التعليم، ولا



أعتقد أنه هنا يكمن التعلم، وهنا نحقق الأهداف ونبني شيئاً متيناً . . . وعلى هذا المثال يمكننا القياس .

إذاً، ما استنتجته أن طلابنا خاضعون لأجندتنا كمعلمين، إما يفرض النظام مباشرة، وإما هم يعملون لإرضائنا، وفي الحالتين أطفالنا لا يفكرون ولا يتخذون قراراً لأجل أنفسهم، ولا يتعلمون ذلك، ويدفنون في أنفسهم أفكارهم وقراراتهم وأحلامهم ومواهبهم، وكلنا نلاحظ في مدارسنا كيف يدخل الطفل الصف الأول كالنحلة، يريد استكشاف كل شيء، وعنده عشرات الأسئلة عن كل شيء، ثم تراه في الصف السادس يردد من خلف المعلم: مفهوم؟ . . . مفهوم . . . حد عنده سؤال؟ . . . لا!!!!!! .

وفكرتي هنا: كيف وما هي الطريقة التي نجعل طلابنا يفكرون ويقررون لأجل أنفسهم؟ فإذا اتخذوا قراراً وأنتجوا فكرة سيحملونها ويدافعون عنها ويعيشون معها وتعيش معهم، عندها سنحدث التغيير ونعد أطفالنا لمستقبلهم .

في هذه التجربة، حاولت أن أسلم الأطفال السلطة، وأمنحهم الفرصة لاتخاذ القرار، يستكشفون، يحلون مشاكلهم، وفي الوقت نفسه سيعبرون ويكتبون ويتحاورون. سأقلب موازين القوى، وكل

لماذا؟ بكل بساطة . . . لأن طلابي بحبهم وإيجابيتهم وحرصهم على التعلم والتزامهم لم يكن من أجلهم وأجل تعلمهم، لقد كان من أجلي أنا، كانوا يريدون أن يكونوا كما أحب، كانوا ينفذون أجندتي وليس أجندتهم، لقد كنت أقدم لهم السم في العسل إذا صح التعبير . وهذا أجاب عن تساؤلاتي: لماذا عندما يترفعون من الصف الرابع الذي أدرسه فيه؛ أي بعد أن أترك تدريسهم لا أجد عندهم الالتزام نفسه، بل ألاحظ أنهم تغيروا كثيراً .

دعوني أوضح فكرتي أكثر: طالب رفع ورقة من ساحة المدرسة ووضعها في سلة المهملات . هذا السلوك في المحافظة على النظافة نابع من أمرين:

الأول: أمره معلم . . . فهو ينفذ أوامر النظام .

الثاني: رأني في الملعب وأراد أن يظهر أمامي أنه يحافظ على النظافة لأنه يعرف أنني أحب ذلك .

وفي الحالتين هو يمر النظام القائم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، لذلك هو لا يتعلم، ولن يلتزم بهذا السلوك . ولكن، ماذا لو قرر هذا الطالب أن يرفع الورقة لأنه اتخذ قراراً ذاتياً نابعاً من فكرته بالمحافظة على النظافة؟





يلتزم الأطفال بنظام المدارس؟ لماذا يقوم كل منا بعمله؟ وتخيّلوا معي لو تسلم الجميع السلطة ليكون التزامه ذاتياً . . . هل سيذهب طالب إلى مدرسته؟ هل يدخل معلم إلى حصته؟ هل يلتزم السائق والتاجر والعامل والأب والأم بواجباتهم وهل . . . وهل؟

وبالمقابل، ماذا لو علمنا طلابنا أن يتخذوا قراراتهم، وأن يكون انضباطهم ذاتياً، أن يستكشفوا أين الصواب والخطأ برأيهم، أن يحملوا أفكارهم، أن يبنوا معرفتهم . . . عندها سيكون مستقبلنا أفضل لأن أطفالنا هم المستقبل .

هذه صرخة مني في هذا المؤتمر، أن ندرّب أطفالنا على اتخاذ القرار، أن ندرّبهم على التفكير وبناء المواقف، ليس لأجلنا ولا تنفيذاً لنظامنا، إنما لأجلهم ولأجل خبرتهم وأحلامهم، لنسلمهم السلطة . . . ونراقب قوتهم وفهمهم وبراءتهم وقدرتهم على الحياة .

معتصم الأطرش
مدرسة جليجيا الأساسية المختلطة



شيء مختلف لا سبورة، ولا مقاعد، ولا دفاتر، سيني الأطفال قصتهم، ودوري سيكون ميسراً لهم ليذهبوا ويستكشفوا أي أمر أرادوا، ولذلك حين بدأت التخطيط لم أكن أعرف أين سنصل، ومتى ستوقف، لقد تركت القرار لهم .

كانت التجربة من ثلاثة لقاءات :

اللقاء الأول: سرد جزء من القصة . المعلم في دور فارس، والأطفال في دور الأب، ثم كتابة الأفكار .

اللقاء الثاني: المعلم في دور «أبو فارس»، والأطفال معلمون يقدمون النصائح، رسالة من فارس إلى والده، تساؤل عن الأم .

اللقاء الثالث: البحث عن الأم، اللقاء الحاسم .

وبربط تجربتي بالحياة أرى أنه :

أن تسلم السلطة، ونكون أصحاب قرار، أمر ليس بالسهل . . . لسأل أنفسنا لماذا أنا كمعلم أعمل؟ تطبيقاً للنظام أم إرادة ذاتية؟ لماذا